

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس (٢٨) : الافتقار إلى الله .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ،
وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

دور الشيطان يبدأ بعد استقامة الإنسان و اصطلاحه مع الله :

أيها الأخوة الكرام ؛ من الآيات التي قرئت في هذه الصلاة المباركة إن شاء الله قوله تعالى :

﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٦]

أخواننا الكرام ؛ ما دام الإنسان متقلناً ، غير منضبط ، ليس مستقيماً ، لا يتحرك وفق منهج الله ،
لا يقترب من الشيطان ، لأنه حقق الهدف ، التقلت ، والمعصية ، وعدم الالتزام ، وعدم تطبيق
منهج الله عز وجل ، متى يتدخل الشيطان ؟ قال :

﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٦]

حينما يبدأ الإنسان بعد أن اصطلاح مع الله ، وتاب إلى الله ، بتطبيق منهج الله في عمله ، ودخله ،
و إنفاقه ، و بيته ، و أوقات فراغه ، و هواياته ، حيث يجعلها كلها وفق منهج الله ، عندما بدأ
يستقيم بدأ دور الشيوخة :

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

هناك أربع جهات يأتي منها الشيطان ، والآية أغفلت جهتين ، الأربع جهات :

﴿ ثُمَّ لَأْتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٧]

أي في المستقبل ، عصر حضارة ، عصر تقدم ، عصر حقوق الإنسان ، عصر نبذ الخلافات ،
نبذ ما وراء الطبيعة ، نبذ الدين ، الدين أفيون الشعوب إلى آخره ، مقولات لا تنتهي ، عندما بدأ
يستقيم ، بدأ يتحرك وفق منهج الله جاء دور الشيطان .

لكن أنا أريد أن أقول كلمة دقيقة ذكرتها من قبل : أن الله عز وجل لو وضع هؤلاء الكفار
والشياطين بكوكب ثان لكنا في حال أفضل ، لو جعل المؤمنين بكوكب ، و الشياطين بكوكب
آخر ، ما الحكمة من وضعهم معاً ؟ العلماء قالوا : الحق لا يقوى إلا بالتحدي ، هذه المعركة
الأزلية الأبدية التي أرادها الله بين الحق والباطل فيها حكمة كبيرة جداً ، فالحق لا يقوى إلا

بالتحدي ، وأهل الحق لا يستحقون الجنة إلا بالبذل والتضحية ، فمركنتنا مع الباطل معركة أزلية أبدية ، وهذه المعركة قدرنا يجب أن نقبلها .

الإسلام منهج دقيق جداً تكفل الله عز وجل بحفظه :

أيها الأخوة الكرام :

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبة ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليعطي ، ويبتلي ليجزي))

[كنز العمال عن ابن عمر]

فالشيطان يأتي الإنسان حينما يبدأ بالاستقامة ، يبدأ بمعرفة الله ، يبدأ بضبط أموره ، يبدأ بإقامة الاسلام في نفسه ، وفي بيته ، وفي عمله ، حينما يبدأ بمحاسبة نفسه ، حينما يبدأ بإصلاح من حوله ، عندما يتحرك الإنسان يأتي الشيطان ليؤدي دوره الذي أراده هو في عالم الأزل . لكن أنا أقول كلمة اقبلوها مني : لا تقلق على هذا الدين إنه دين الله ، ولكن اقلق ما إذا سمح الله لك أو لم يسمح أن تكون جندياً له ، هنا القلق ، سمح الله لي أن أكون داعية ، سمح الله لي أن أدافع عن هذا الدين ، سمح الله لي أن أكون منصفاً ، هذا هو المسلم . حاكم الفرنجة بعد الحروب الصليبية قال : نادوا محمداً ليدافع عنكم ، فسيندنا صلاح الدين استأذن رسول الله أن ينوب عنه في الدفاع عن الاسلام وانتصر ، فلذلك :

﴿ ثُمَّ لَأَنزِلنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾

كل شيء بالمستقبل حضارة ، تقدم ، رقي ، حقوق إنسان ، لا يوجد تزمت ، القرآن الكريم قرئ في باريس على أنه فلكلور شرقي ، فصار الدين تراثاً ، صار خلفية إسلامية ، أرضية إسلامية ، مشاعر إسلامية ، توجهات إسلامية ، أقواس إسلامية ، بطاقة إسلامية ، الاسلام شيء آخر ، الاسلام منهج دقيق جداً ، و لكن الشيطان يشيد بالحضارة ، الحضارة المبنية على المادة . أنا سافرت إلى أمريكا قبل أشهر استخلصت كلمتين هم يعيشون لحظتهم ، موضوع الآخرة ، الموت ، القبر ، الجنة ، النار ، هذا الشيء لا يدخل بحساباتهم أبداً ، يعيشون لحظتهم هدفهم الرخاء ، فكل إنسان يعيش لحظته هدفه الرخاء ، إنسان شرد عن الله عز وجل ، إذا يأتي الشيطان من المستقبل ، يخوفك من المستقبل ، إياك أن تصلي ، أخذوا اسمك ، مثلاً ، أي يخوفك ، أحياناً كل بلد لها ظروفها ، هناك بلاد فيها شدة بالغة جداً ، يخوفك أحياناً من شيء معين ، من فقر مدقع ، إذا دفعت مالك ستصاب بالفقر .

التحريش بين المؤمنين ورقة رابحة بيد الشيطان :

الآن :

﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٧]

أيمانهم أي هذا العالم لا يفهم شيئاً ، هذا اسمه تحريش بين المؤمنين ، الشيطان أيها الأخوة يبدأ بالكفر ، يوسوس للإنسان بالكفر ، فإن رآه على إيمان يوسوس له بالشرك ، رآه على توحيد يوسوس له بالكبائر ، رآه على طاعة يوسوس له بالصغائر ، رآه على ورع ، بقي معه الورقة قبل الأخيرة و هي التحريش بين المؤمنين ، فكل إنسان يحرش بين المؤمنين .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٥٩]

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[سورة الحجرات الآية : ١٠]

كل إنسان يدعو إلى التفرقة هذا ابتعد عن الله .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

بل هذه الورقة الرابحة بيد الطغاة .

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾

[سورة القصص الآية : ٤]

الإسلام دين واقعي لا يكلف الإنسان فوق طاقته :

إذاً هذا الشيطان :

﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾

يخوفك من التدين ، يخوفك من أداء الصلوات الخمس ، يخوفك من إنفاق المال ، يدعوك إلى عدم الإنفاق مخافة الفقر ، هناك إنسان يبدأ يحدث المؤمنين ويصب سهامه على العلماء، الطفل مثلاً من يؤثر به ؟ الأسرة ، الأسرة متهمة بالعصر الحديث ، من أيضاً ؟ المدرسة ، المعلم دخله قليل جداً ، طبعاً أنا عندما أضعع التعليم ، وأضعع الأسرة ، وأضعع المرجعيات الاسلامية أنهيت الدين ، والإنسان يأخذ دينه من بيته أولاً ومن مدرسته ومن المراجع الاسلامية . إذاً الأسرة متهمة ، وإذا كان التعليم علمانياً إذاً المراجع الدينية مهاجمة فينتهي الدين، هذه :

﴿ عَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾

أي يكلفه بشيء فوق طاقته ، يقول لك : فلان ختم القرآن بليلتين ، أو بليلة واحدة ، ستون صفحة ، أي يعطيك نماذج فوق طاقتك ، الاسلام واقعي .

هناك رجل دخل إلى المسجد النبوي بعصر سيدنا عمر ، فرأى سيدنا عمر قال له : يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل ؟ فكان الجواب : إني إن نمت ليلي أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي ، لا ينام أبداً !! هذا شيء غير واقعي ، من يستطيع ألا ينام إطلاقاً ؟ بعد ذلك عثرت على رواية فيها كلمة واحدة ، إني إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي . الاسلام واقعي ، والعلم واقعي ، العلم علاقة بين متغيرين يطابق الواقع عليه دليل .

تدخل الشيطان بالدين لتنفير الناس منه :

﴿ عَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾

إما أن يزين لك كرامات غير معقولة ، أو شطحات غير معقولة ، أو يصور لك الدين الإسلامي خطأ ربيعاً إذا خرج عنه الإنسان خرج من الإسلام ، لا ، الاسلام شريط عريض .

﴿ عَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾

يدخل في الدين أيضاً ، يزين لك البدع ، يزين لك الخرافات ، الشطحات ، الكرامات ، هذه :

﴿ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٧]

المعاصي ، والآثام ، عش حياتك ، عش شبابك ، لا تتوقع ، لا تكن معقداً ، هذه كلمات الشيطان هي :

﴿ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٧]

المبالغات ، والتطرف ، والشطحات ، والسحبات ، كلها يستخدمها الشيطان كي ينفرك من الدين ، والآن أساساً أعداء الدين عملهم تفجيرهم من الداخل ، كيف ؟ أولاً : بالفتاوى ، أي فتوى من أعلى شخصية إسلامية ، في مصر قديماً أفتى أحدهم بإيداع المال بالبنك بالفائدة ، أعلى شخصية دينية بمصر ، بالفتاوى ، والتأويلات ، أو اصطناع شخصيات إسلامية مهزوزة ، هذا يسمونه التفجير من الداخل ، هناك حرب صريحة ، و حرب مبطنة .

﴿ عَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٧]

من التطرف .

﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٧]

بالمعاصي والآثام .

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٧]

الافتقار إلى الله و الاعتزاز به جهتان آمنتان من الشيطان :

أي جهتين أغفلتا في هذه الآية ؟ العليا والسفلى ، الافتقار إلى الله ، هذه الجهة آمنة من الشيطان ، والاعتزاز بالله هذه الجهة آمنة من الشيطان ، عن أيمنهم ، عن شمائلهم ، عن خلفهم لكن إذا اتجهت إلى الله هذا الطريق الآمن ، وإذا افتقرت إلى الله :

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ١٧]

والحمد لله رب العالمين